تناص الرواية مع الأمثال الشعبية في (مملكة الزيوان) للحاج أحمد الصديق أنموذجا

تاريخ استلام المقال: 2017/04/20 تاريخ قبول المقال للنشر 2017/12/21

عائشة أبختي طالبة دكتوراه د. قاسي محمد عبد الرحمان

مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب افريقيا جامعة احمد دراية –أدرار

البريد الالكتروني: aabekhti@gmail.com

ملخص:

مملكة الزيوان هي الرواية البكر للروائي المبدع "حاج احمد الصديق " ، والتي تعد من ضمن الروايات الصحراوية التي اهتمت بالطابع الصحراوي لمنطقة أدرار، تحكي قصة الرمل والحصى، قصة السباخ والفقاقير، قصة توات زمن الستنيات والسبعينيات وبداية الثمانينات.

من خلال هذه القراءة، حاولنا التطرق إلى الأمثال الشعبية المتناثرة في الرواية، لنبين أهميتها ودلالتها في المتن الروائي. فالمثل الشعبي أكثر تعبيرا عن حياة الناس اليومية، إذ يعد شكلا من أشكال التعبير الشفهي، وهو المعبر عن حُلوها ومُرها.

والهدف من هذه القراءة تبيان ما تشتمل عليه رواية (مملكة الزيوان) من تناصات مع الأشكال التعبيرية للأدب الشعبي من أمثال شعبية وحكم وتجارب رجال عاشوا وتعايشوا مع الطين والفقارة، فأصبحت حياتهم لا معنى لها بغيابهم، بالإضافة إلى الأغاني والأهازيج الشعبية والألعاب التي تلهى بها الفتيان أثناء أوقات فراغهم مع أترابهم في قصبة القصر الطيني.

Résumé :

A travers ce roman de Hadj Ahmed Saddik intitulé « Mamlakt Elziwan» nous avons essayer d'étudier la fonction littéraire des dictions populaires en usage.

Nous avons étudié ensuite l'importance du proverbe populaire dans la vie de la société de Touat.

Enfin, le roman« Mamlakt El ziwan» est un roman saharien qui permet de vivre dans la vie simple des ksour d'Adrar.

مقدمة:

« مملكة الزيوان»، من ضمن الروايات الجزائرية التي طرقت باب الأدب الصحراوي ،هذا الأدب الذي ظل مغيبا عن الساحة الأدبية الإبداعية،فهذا الأدب –على حسب رأيي– لا يلجه إلا من اصطلى بنار الحر والقيظ؛ ومن الأقلام التي اهتمت به نلفي رائده بلا منازع إبراهيم الكوني من خلال رواياته وقصصه من أشهرها (واو الصغرى)،(التبر)، (نزيف الحجر)، (نزيف الروح)...أما من الجزائر نجد عبد الحميد ابن هدوقة في(ريح الجنوب)، رشيد بوجدرة (تيميمون)،الحبيب السايح في (تماسخت)، و(تلك المحبة)، بالإضافة إلى روايات مليكة مقدم ،عبد الله كروم في (حائط رحمونة) و(مغارة الصابوق)؛ ومن الأمور التي لفتت انتباهنا في المدونة السردية وجود تلك العبارات المعمقة المكتوبة باللون الأسود والمتمثلة في الأمثال الشعبية.

لا ريب إن للمثل الشعبي دورا فعالا في حياة أي مجتمع، إذ يعد من أهم الفنون الشعبية المتناقلة والمتواترة بين الأجيال، كما يعتبر مرآة عاكسة لما يحدث في المجتمع، ومن خلال هذه الوريقات البحثية سأحاول أن أستنطق بعض الأمثال الشعبية المتناثرة في رواية (مملكة الزيوان) معتمدة في ذلك على الخطة التالية:

أولا: التناص (المصطلح والمفهوم في الدراسات العربية والغربية)

ثانيا : تعريف المثل لغة واصطلاحا.

ثالثا: نشأة الأمثال الشعبية الجزائرية ومنطلقاتها.

رابعا: خصائص المثل الشعبي وجمالياته.

خامسا :أهمية المثل الشعبي في المتن الروائي.

خامسا: دراسة تحليلية لبعض الأمثال الشعبية المتواجدة في الرواية.

سادسا: الأمثال الشعبية في الرواية ودلالتها:

أولا: التناص (المصطلح والمفهوم في الدراسات العربية والغربية)

أ- التناص في اللغة:

جاء من الفعل« نصص،ينص نصا، ونص الحديث أي رفعه وأسنده إلى المحدث.»[1]

ب-التناص في الاصطلاح:

نشأ مصطلح التناص في أحضان المنهج البنيوي، وقد عرف هذا المصطلح في القديم بمسميات عدة منها: التضمينmodulation والتلميح allusion والاقتباس citation والسرقة الأدبية plagiat.فهو وافد جديد على الدراسات النقدية العربية،إذ عُرِف في الدراسات النقدية المعاصرة على أنه عملية إنتاجية يتصل فيها صاحب النص مع قارئه،فكل منهما يكمل الآخر،وظهر هذا المصطلح عند جوليا كريستيفا Julia Kristeva التي اصطلحت عليه هذه التسمية (التناص) ،فالعملية الكتابية – في نظرها- تقتضي توفر العناصر التالية: «النص والكاتب والمتلقي بالإضافة إلى عنصر التناص الذي يناقش هذه العناصر الثلاثة.»[2]

التناص" intertextualité "هو : «تقاطع نصوص ووحدات من نصوص،في نص، أو نصوص أخرى.»[3] أو هو الحضور الفعلي لنص في نص آخر فالنص في حقيقة الأمر ما هو« إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة .»[4]

---

[1] معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر وآخرون،عام الكتب ،ج2،ط1،2008،1429،ص2221

[2]التناص في الشعر العربي الحديث،البرغوثي نموذجا،حصة البادي، دار كنوز المعرفة ،ط1 1430-2009، ص11

[3] التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر،أحمد العواضي أنموذجا، عصام حفظ الله واصل ،دار غيداء للنشر والتوزيع،ط1،2011-1431، ص15

[4] دراسات في النص والتناصية،ت.محمد خير البقاعي،مركز الانماء الحضاري،حلب،ط1،1998، ص38

ثم جاء بعدها ثلة من الباحثين أمثال: ريفاتير وبارت وجاك دريدا وغيرهم، ولكل منهم نظرته الخاصة به اعتمادا على مناهجهم المختلفة.

ثانيا: المثل في اللغة والاصطلاح:

يعرفه ابن فارس بقوله:«...والمثل والمثيل.. كالمثل، والجمع أمثال، وهما يتماثلان، وقولهم: فلان مستراد لمثله وفلانة مستردة لمثلها أي مثله يطلب ويشح عليه ، وقيل : معناه مستراد مثله أو مثلها واللام زائدة، والمثل: الحديث نفسه.»[1]

أما عمر مختار عمر يعرفه :« والمثل[مفرد] ج أمثال،جملة من القول مقتطعة من كلام أو مرسلة بذاتها،تنقل مما وردت فيه إلى مشابهة بدون تغير مثل (الجار قبل الدار)»[2]

ويردف الرازي تعريفا آخر للمثل بقوله:«مثل كلمة تسوية يقال هذا (مثله) و(مثله)كما يقال شَبَهُهُ وشِبْهُهُ، والمثل ما يضرب به من (الأمثال)»[3]

ما هو ملاحظ أن المثل في اللغة يحمل معنى التماثل والتشابه، أما في الاصطلاح، فقد تعددت تعريفات المثل بالنسبة للدارسين، لكنهم لم يخرجوا عن معناها المعروف والشاسع.

الأمثال:« وشي الكلام، وجَوْهر اللفظ ، وحَلْى المعاني التي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يِسْر شيء مسيرها، ولا عم عمومها، حتى قيل: أسْيَرُ من مثل.

وقال شاعر: **ما أنت إلا مثل سائر**

[1] معجم لسان العرب،ابن فارس،دار صادر بيروت،ج/11، ص616

[2] معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص2068 pdf

[3] مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القار الرازي، مكتبة لبنان،1986، ص255

يعرفه الجَاهل والخَابِر » [1]

وتعرفه نبيلة إبراهيم على أنه – المثل– « قول قصير ، مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ أن كل ما يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير إذا استطاع الكاتب أن يتخذ من المثل بداية لعمله، فيعيش تجربة المثل، ويعبر عنها تعبيرا دقيقا.»[2]

ويعرفه "خضر موسى محمد "على أنه: « ذلك الفن من الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها لها.»[3] أما المرزوقي صاحب شرح الفصيح فيقول: «إن المثل جملة من القول مقتضية من أصلها، أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغير يلحقها في لفظها وعما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وأن جهلت أسبابها.»[4]

ومن هنا يتضح أن المثل، لون من ألوان الأدب الشعبي أو الفنون الشعبية الشائعة بين الناس والمتناقلة بين أفراد المجتمع في العصر الواحد، كما أنها تتبع من أفراد الشعب نفسه، وتعبر عن عقلية العامة.

---

[1] العقد الفريد،أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي،تح:محمد قميحة،مكتبة المعارف،الرياض،دار الكتب العلمية،ج3،ص03

[2] توظيف التراث الشعبي في المسرح الحلقوي في الجزائر ،مسرحية القراب والصالحين لولد عبد الرحمان كاكي– أنموذجا–العلجة هذلي (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،إشراف العمري بوطابع،جامعة المسيلة،2009،ص79

[3] التجوال في كتب الأمثال،خضر موسى محمد حمود،دار الكتب العلمية،محمد علي بيضون، بيروت– لبنان،ط1422،1–2002،ص11

[4] التجوال في كتب الأمثال، ص11–12

هذا عن المثل أما المثل الشعبي فقد عرفه أحد الدارسين بقوله:« جملة أو جملتين تعتمد على السجع ،وتستهدف الحكمة والموعظة »[1] ولعل هذا التعريف يشمل المثل العربي فصيحه وعاميه، وهو كذلك « كل مثل تستعمله العامة وأفراد الشعب سواء كان مثلا فصيحا حرفوه تحريفا قليلا لم يبعد به عن نطقه الأصلي الفصيح،أم كان مثلا فصيحا، ولكنهم غيروه تغييرا كبيرا لا يتمكن معه السامع العادي من رده إلى أصله ،أم كان مثلا استحدثوه ولا أصل له من الأمثال العربية الفصيحة أم كان مثلا نقلوه في الأزمان المتأخرة من الأقطار العربية المجاورة لهم ، وليس ذا أصل عربي. »[2] .أو هو « تقطير لقصة أو حكاية، ولا يمكن معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها.»[3]

فالمثل الشعبي أكثر انتشارا وشيوعا بين الناس، ولعل السبب في ذلك يعود إلى سهولة استخدامه وكذا طرافته، ولكونه لا يتطلب من قائله خبرة واسعة ولا بحثا معمقا أو إعمالا للفكر، وإنما هو ناتج عن تجربة محلية بسيطة.

ثانيا:نشأة الأمثال الشعبية الجزائرية و منطلقاتها:

ارتبطت نشأة الأمثال الشعبية بالتجارب الحياتية وكذا بعض المواقف العلمية التي تولدت في أغلبها من حالات فردية، وهذه الفئات تتكون من مختلف طبقات المجتمع الواحد، وتتوفر لديهم الدراية والقدرة على الملاحظة والتعبير وإصابة المعنى الحقيقي.وقد يروى المثل الشعبي بصيغتين هما:[4]

---

[1] منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، التلي بن الشيخ، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1990،ص19

[2] الأمثال الشعبية العمانية واستثمارها في اللغة العربية،إبراهيم البلوشي، فاطمة الحوسينية، وزارة التراث والثقافة،ص40 PDF

[3] المرجع نفسه،ص 155.

[4] محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري (قصص، حكايات–أحاجي–أمثال– نوادر شعبية)،محمد عيلان، دار العلوم للنشر والتوزيع،ج1، 2013،ص89 وما بعدها.

إحداهما: الصيغة العامية القريبة من العربية الفصحى، وعن طريق اللهجة ينطق العامي المثل متحررا من قيود التقاليد النحوية التي تفرضها اللغة الأم، ويمكن بكل سهولة إخضاع المثل لقواعد اللغة الفصيحة.

أما **الصيغة الثانية**:وهي صيغة عامية تختلف عن العربية في بعض المسميات وتتفق معها في بناء الجملة، وبعبارة أخرى لا يمنع من العودة بها إلى الضوابط النحوية، ولهذه العامية أنواع كالقبائلية ،الشاوية الزناتية بالإضافة إلى لهجة أهل الجنوب الجزائري. فلكل لهجة من هذه اللهجات نطق خاص بها يميزها عن غيرها.

ويرجع" التلي بن الشيخ " منطلقات المثل الشعبي إلى النقاط التالية[1]:

- انه يهتم بالسلوك الفردي أو الجماعي، لأنه لا يطرح قضية سياسية أو اجتماعية بقدر ما يطرح موقفا أو يعبر عن ظاهرة ولا يتخذ منها موقفا صريحا.
- تنوع الأمثال الشعبية واختلافها، بحيث تبدو بعض الأمثال وكأنها تناقض بعضها بعضا،مثل قولهم (خوك خوك لا يغرك صاحبك) (خوك من واتاك موش خوك من أمك وباباك)، ويكون هذا تبعا لاختلاف الظروف وتعقيدات الحياة الاجتماعية.
- استخدام اسم الموصول بكثرة، (اللي جا في وقته ما يتلام)،(واللي خانوها يديها تقول بي السحور...)
- قدرة المثل الشعبي على صياغة السلوك الإنساني في جمل قصيرة معبرة عن الظواهر الاجتماعية بطريقة تشبه الألغاز، لكن تختلف عنه في استيعاب الدوافع النفسية المعقدة.

[1] ينظر إلى منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص20وما بعدها.

ثالثا: خصائص المثل الشعبي وجمالياته:

1- : خصائص المثل الشعبي

ما يمكن أن نجمله، من خصائص للمثل الشعبي، يتضح في النقاط التالية:

- الثبات وعدم التغبير.
- خروج الأمثال عن القياس، أي قد يطرأ عليه تغيرات وجوزات كالشعر مثلا.
- تعدد الروايات : وقد تكون للمثل الواحد عدة روايات في القطر الواحد.
- الإيجاز: وهي الخاصية الأساسية للأمثال، « فهي قليلة اللفظ كثيرة المعاني، وهي تحتوي على نمط من الأخلاق وعلى فلسفة بل على فن الحياة. فإنها تعبر عما تكنه الشعوب في أعماق أنفسهم ولذلك يكاد يعرف قائلها من بين هذه الشعوب بمجرد الاطلاع على مضمونها وأسلوبها وطريقة التفكير فيها، فالمثل الصيني على سبيل المثال، لا يشبه إطلاقا المثل العربي أو السلافي أو مثل أفريقيا السوداء.»[1]
- إصابة المعنى.
- حسن التشبيه.
- جودة الكناية الذيوع والسيرورة.[2]

ويرى(محمد عيلان) «أن الأمثال الشعبية قد حوت خصائص الأسلوب العربي،المتمثل في التعبير عن الحقيقة مباشرة أو التعبير عنها بطريق التوسع، ومنح الكلمة أو المفردة وظائف يحددها السياق،عن طريق التوهم أو التوسع

[1] الأمثال الشعبية الجزائرية، قادة بوتارن،ترجمة،عبد الرحمان حاج صالح،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،ص05

[2] ينظر اللهجة التواتية الجزائرية، معجمها، بلاغتها، أمثالها وحكمها عيون أشعارها، احمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي،ط2003،1،ج2،ص430-431

في مدلوها، لتوضح معالم صورة غامضة في ذهن المتلقي أو (المبالغة) في تقرير المعنى، والإبانة عنه أو الإشارة إليه في قليل من اللفظ، أو عرضه في صورة جذابة .» [1]

أي أن المثل الشعبي لا يخرج عن المعالم الثلاثة؛ وضوح المعنى، وجمال الأداء وعموم الدلالة أي شيوعه بين الشعوب؛ فهو يضرب كما قيل أول مرة دون تغيير في شكله حين (ضربه) ولا يخرج عن هذه الدلالة مهما كان جنس من قيل فيه المثل ؛ ولنأخذ المثل الذي ساقه" محمد عيلان" (خالتي سعيدة وين تروح تعطي قعيدة)[2]،أصل المثل أنه قيل في امرأة، لكنه هاهنا قيل للرجل كثير التنقل والزيارات ومحب مجالس اللهو والأخبار والأحاديث هذا من جهة ، ومن جهة أخرى للتحقير به فهو أشبه بالمرأة الثرثارة في هذه الخصال.

كما يرى أن أهم خاصية تطبع المثل الشعبي، هي « خاصية التربية والتعليم ومنح المعلومة جاهزة.»[3]

- المثل أكثر ما يعبر عنه هو التجربة الفردية دون إغفال التجربة الجمعية.
- إن وراء كل مثل قصة حتى وان لم تذكر، ولكننا نستطيع أن ننسج قصة صاحبه عند التعبير عن الحدث، وهو ما يفرقه عن الحكمة والقول.
- يعبر المثل عن التناقض الذي يعيشه الإنسان ويعبر عنه وفقا لمزاجه.
- المثل الشعبي لا يناقش بل يتم التسليم بما يعيشه الإنسان ويعبر عنه وفقا لمزاجه.

[1] معالم نحوية وأسلوبية في الأمثال الشعبية الجزائرية ،محمد عيلان، دار العلوم للنشر والتوزيع2013،ص08

[2] محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري، ص93

[3] المرجع نفسه ،ص94

- المثل مجهول القائل ولا يتداول اسم قائله، ليظل ينسب إلى العقل الجمعي. وإذا ما نسب لشخص ما فإن العامة لا تتداوله، ما عدا ما ينسب إلى حكماء عرفوا برجاحة العقل وسعة المعرفة وحنكة التجربة.
- يمتاز المثل بالصياغة اللغوية المحكمة، والاختصار في الكلمات ذات الدلالة المكثفة سواء عن طريق الاستعارة أو المجاز.

2- جمالياته:

لعل جمالية المثل الشعبي تكمن في شي وحيد وأوحد، وهو ظاهرة التشخيص، ومن ذلك تشخيص الخفي من المواقف والمعاني والسلوكيات، والتي بثوا فيها روحا ناطقة جميلة، كالتستر على أخبار الناس وحفظها برميها في بئر (السر – في بير) ونقيض ذلك تشبيه موقف الشخص الذي بلغ به التدمر وعدم الصبر على مكائد من يكن لهم الخير بالإنسان المتردد الذي يبحث عن أوهى الأسباب ليفصح عما من شانه أن يكون انتقاما أو تنفيسا ،(خل البير بغطاه)[1]

ومن التشخيصات الواردة في هذا المقام، تشخيص ظاهرة اللوم وعدم حمد النعمة مثال ذلك« يأكل الغلة ويسب الملة» أو «أنا بالشدق لفمه وهو بالعود لعيني.» أي مقابلة الإحسان بالإساءة، بالإضافة إلى تشخيص تصرفات الإنسان وأفعاله ونعتها بتصرفات الحيوان ، نلفي هذا التشخيص في الذاكرة الشعبية التواتية لما قالوا «ما ينضرب الكلب حتى ينعرف صاحبه.»[2] يقال المثل للحث على التريث ومراعاة أهل المذنب، وكثيرا ما قد يعفى عن الجاني لا لسبب،؟إلا لأنه ابن فلان وابن فلانة أي مراعاة لأهله ومكانتهم. أضف إلى ذلك المثل الشعبي.«كل خنفوسة عند أمها غزالة.»[3] ومورد المثل ومضربه

[1] معالم نحوية وأسلوبية في الأمثال الشعبية الجزائرية،ص12

[2] صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة، دراسة تاريخية-ثقافية واجتماعية، قدي عبد المجيد،2006،ص274

[3] صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة، ص248

للشخص الذي يقدر كل شيء عنده مهما هان أمره فإنه يبقى جميل. فكل أم بابنها مفتونة، وكل صاحب صنعة لا تجده إلا مادحا لصنعته.

رابعا–أهمية المثل الشعبي في المتن الروائي:

كثيرا ما تتردد على الألسنة (بالأمثال يتضح المقال)، فالمثل « يجلب الاهتمام ويوضح المقصود أو يؤكده بل وهو جد مثير للخيال وعون كبير على الفهم. فهو متعة في نفس الوقت، للفكر والمشاعر. فكل شيء فيه تأثير على العقل والإحساس، من سجع وإيقاع وبلاغة ونغم وإيجاز وتمثيل وغير ذلك.»[1]

ومهما تعددت مسميات المثل الشعبي، أو المثل العامي والمثل الدارج إلا إنها تصب في معنى واحد، وللأمثال الشعبية أهمية بالغة في حياة المجتمع، إذ تعتبر المرآة العاكسة لما يحدث فيه من وقائع وعادات وتقاليد وحتى القيم النبيلة، وهناك من اعتبرها جزء لا يتجزأ من الموروث الثقافي والشعبي لأمة من الأمم، كما أنها صوت الشعب، ويمكن أن نوجز أهميته في النقاط الآتية:

- استثماره في حفظ وتوثيق التجارب الإنسانية. « فالمثل الشعبي أقوى تأثير في العلاقات الاجتماعية، وألصق بحياة الناس، كونه لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف مرحلية معينة، مثل القصة الشعبية، وإنما يركز على السلوك الإنساني في ظروف وحالات متغيرة، سواء كان السلوك فرديا أو جماعيا..(مثال ذلك رب أخ لم تلده أمك.)»[2]
- استثماره في الناحية الحضارية: أي تسهم في حفظ تراث المجتمع.
- استثماره في الناحية التربوية إذ تسهم في تهذيب الأجيال وتقويم الأخلاق.

[1] الأمثال الشعبية الجزائرية، ص04 وما بعدها

[2] الأمثال الشعبية العمانية واستثمارها في اللغة العربية، ص40 وما بعدها.

- استثماره في الناحية الجمالية: فعمل المثل يتضح في:« تعمل على الإطناب، ولها روعة إذا أبرزت في أثناء الخطاب والحفظ موكل بما راع من اللفظ وبرز في المعنى. »[1]
- استثمار ايجابيات الأمثال الشعبية وتجنب سلبياتها؛ أي استخدامها لإعطاء النصيحة وأحيانا نوظفها في حواراتنا من أجل تدعيمه بالحجة والتأكيد على صحة ما نقول.
- استثمار الأمثال الشعبية في دراسة اللهجات الجزائرية.
- استثمار الأمثال الشعبية في حفظ مفردات اللغة العربية وغربيها.

خامسا: دراسة تحليلية لبعض الأمثال الشعبية المتواجدة في الرواية:

قبل الشروع في الدراسات التحليلية للأمثال الشعبية المتضمنة في الرواية، كان حريا بنا أن نتوقف عند السيرة الذاتية للروائي ثم قراءة في الرواية .

1- السيرة الذاتية العلمية للحاج أحمد الصديق:

«الدكتور الصديق حاج أحمد الزيواني أكاديمي وروائي جزائري مولود في 19 ديسمبر1968 بزاوية الشيخ المغيلي ولاية أدرار، أستاذ لسانيات النص بجامعة أدرار، مهتم بالدراسات اللسانية والأدبية وكذا التاريخية الانثربولوجية. من أعماله:

- التاريخ الثقافي لإقليم توات.
- الشيخ محمد بن بادي الكنتي – حياته وأثاره.
- الدرس اللغوي بتوات»[1].بالإضافة إلى أعماله الروائية: مملكة الزيوان ورواية كامارد...

[1] منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص157

2- قراءة في الرواية الزيوانية:

«مملكة الزيوان»حكاية توات قبل أن تغسل من طينها، لمؤلفها الحاج أحمد الصديق،هكذا أصطفى الروائي هذه العنونة لمدونته السردية، فهي تجربة سردية فريدة من نوعها تحكي قصة توات، تحكي قصة الرمل والحصى والنخلة بكل أجزائها بشوكها، بسعفها، بزيوانها وعرجونها...

من أعماق الصحراء، يحكي " حاج أحمد"عادات وتقاليد المجتمع الصحراوي التواتي بأدق تمفصلاته معتمدا على الذاكرة الشعبية لأهالي قصبة القصر الطيني.

في الرواية يتحدث بداية عن الأرملة والطقوس التي تجرى احتفالا بنهاية العدة، بدءا بخروجها إلى حفرة الرابطة وما أدراك ما حفرة الرابطة؟ حتى وصولها إلى منزلها .

ثم يروي لنا قصة ميلاده وطفولته مع أترابه "كالداعلي" و"ميني" ثم يصف لنا المرحلة الهامة في حياته وهي دخوله إلى اقربيش لتعلم القرآن ثم ولوجه إلى المدرسة الابتدائية والإعدادية وحتى الثانوية والجامعية ومن ثم حصوله على الشهادة الجامعية في تخصص التاريخ.

وفي الزقاق الثالث عشر ما قبل الأخير، يتحدث فيه عن التقائه باميزار ومشروعه في الزواج منها ،والمشاكل التي يتلقاها حيال ذلك...

ولم يغفل الروائي " حاج أحمد" حتى العادات والتقاليد التي كانت سائدة في القصر التواتي من عادات النفساء وأسبوع المولد والختان وحتى الزيارات...

---

[1] ينظر إلى غلاف الرواية، مملكة الزيوان، مملكة الزيوان، حاج أحمد الصديق، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط1،2015

أما بالنسبة لأخته مريمو فهي مثال حي لكل أنواع المضايقات واللامبالاة من طرف المجتمع التواتي، كونه يفرح بميلاد الذكر(الحجر)ويقرح بميلاد الأنثى(الطوبة)،لأن هذه الأخيرة لا ترث ولا تتزوج فهي بائرة على حد تعبيرهم؛ فوا أسفا على مريمو من هذا التالوث الأسود(الجهل، الحرمان من الميراث، البوار)...وإذا دققنا النظر في اسم أخت لمرابط (مريمو) لألفينا أن مأساتها ومحنتها تبدأ أولا من اسمها المنقوص كما يقولون باللهجة التواتية، فمريمو اسم تصغير لاسم مريم، هذا من جهة ، أما إذا نظرنا إلى الاسم (مريم)من زاوية أخرى، لوجدنا أن اسم مريم يحيلنا في ديننا الإسلامي إلى مريم العذراء أم سيدنا عيسى المسيح عليه السلام، فهي مثال للعفة والصبر والتجلد ...

ولا يمكن أن نغفل حديث الروائي عن إرثه في القصر الطيني، من فقاقير وسباخ التي هي في حقيقة الأمر رمز للبقاء والخلود في الأرض.. ولهذا سُمي على اسم جده يقول الروائي على لسان والد لمرابط: « لقد اسميته على والدي لمرابط وهو فأل يتبرك الرجل باسم أبيه، قصد عض المسمى على تركة المسمى عليه، من السباخ، والفقاقير، والمطامير، والزيوان...»[1]

سادسا: الأمثال الشعبية في الرواية ودلالتها:

كما أسلفنا الحديث عن الأمثال الشعبية وكيف أنها تعبر عن «طبيعة حياة الأمة، وتصور مجتمعاتها، وترسم عوائدها، وتسرد أخبارها، وتحفظ آثارها، وتقدم الدليل الخريت للباحث على مستوى تفكيرها، ومدى ثقافتها، ومبلغ حضارتها، فالأمثال مرآة للأخلاق العامة مرآة لحياة أمة من الأمم في مجلات الحضارة والعلم والتفكير.» فالمثل الشعبي هو صورة تعبيرية تصويرية لتجارب وقيم وعادات مجتمع ما.

[1] مملكة الزيوان، ص52- 53

وترجع كثرة الأمثال الشعبية في أمة من الأمم إلى ذكائها وسرعة بديهتها، بالإضافة إلى انصهارها في تجارب الحياة، فالأمثال بمثابة مساحة تنفس لرغبات ومكبوتات الأفراد، وللمثل أهمية خاصة في الحياة الإنسانية، إذ يتذوقه العام والخاص عكس الفنون الأخرى كالشعر مثلا الذي ينحصر تذوقه على فئة خاصة؛ وهذا ما رآه المعلم الثاني- الفارابي- «المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به بينهم في السراء والضراء...وهو أبلغ من الحكمة، لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة.»[1]

ولعل السبب في استحضار الأمثال الشعبية في المدونة السردية راجع إلى: «إبراز خبايا المعاني، ورفع اللبس عن الحقائق حتى يظهر المتخيل في صورة الحقيقة والمتوهم في صورة المشخص والغائب كأنه مشاهد، ولأن الأمثال حث على تعنيف للخصم وقهر لحدة المتمرد غي المترفع عن الدنايا.»[2] حقيقة هذه الأمثال تكشف لنا أسرار وخبايا المجتمع التواتي، ومن الأمثال الشعبية التي وردت على لسان الروائي في روايته ما يلي:

1- (اللسان ما فيه أعْضِم يا وَلدْ بويا)[3]:

وله رواية أخرى كالتي أوردها أحمد جعفري (اللسان ما فيه عظم)[4] بالظاء المشالة بدل الضاد، يريدون بقولهم «أعضم» إلى اللفظ الفصيح «عظم» ، وذلك لأنهم في كثير من الأحايين يستثقلون البدء بالفتح، فيسكنون، واستعمال

[1] معالم نحوية وأسلوبية في الأمثال الشعبية،ص08

[2] الآداب واللغات، مجلة علمية متخصصة في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية تصدر سنويا عن كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر،العدد الثاني، جوان2007،ص40

[3] مملكة الزيوان،ص49

[4] اللهجة التواتية الجزائرية،ج2، ص469

الضاد بدل الظاء، لعله راجع – حسب رأيي – إلى سهولة مخرج الضاد والتقارب الموجود بينهما في المخرج .

ويرجع "أحمد جعفري" مضرب المثل إلى« الإكثار من الكلام بلا فائدة .»[1].

أما "عبد المجيد قدي" فيرويه بهذه الصيغة «اللسان ما فيه عظم»[2] ويضرب هذا المثل للشخص الذي يكثر من الكلام دون أن يكون قادرا على الفعل، أو الذي يكثر من التهديد والوعيد دون تنفيذ، فاللسان لا يقوم لأنه ببساطة يفتقر إلى العظام، والله سبحانه وتعالى حذر من مغبة القول دون الفعل، دليل ذلك قوله تعالى:﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[3]

شرح "قدي" لمضرب المثل يتوافق مع ما جاء في الرواية، وهو ما ينطبق على العم الأصغر للمرابط المدعو "حمو" الذي يصغر والد لمرابط بخمس سنوات، وقد أصابه سوء الطالع، إذ لم يحظ بنعمة الوالد، « فقد تزوج ثلاث مرات، حتى أصابه سوء اليأس، وطلق أخر زوجاته وخلى أمره لله وبقي يسكن معنا.»[4]

ولقد اصطنع تهنئته بمولد ابن أخيه بقوله: «اللهم اجعله من العائشين، والعاقبة لإخوانه القادمين، ويقطع هذه السبيبة...التابعة التبيعة القاطعة لحبل الخليفة...»[5] فعلِم والد "لمرابط" بمنافقة أخيه، وإنما هناك شيء ما في خلده، جعله يصطنع هذا الدعاء، فكانت الإجابة من جنس القول.

---

[1] صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة، ص469

[2] المرجع نفسه،ج2 ص249

[3] سورة الصف، الآية03

[4] مملكة الزيوان، ص52

[5] الرواية،ص49

2-(تاكل الغلة وتسب الملة)[1]:

لا نرى في هذا المثل ما يتنافى مع اللغة العربية الفصيحة، إلا أنه ورد فيه تسهيل أو تخفيف للهمز (تاكل) بدل(تأكل)، ولعله يتوافق مع المثل الآتي: «أنا بالشدق لفمه وهو بالعود لعيني. »[2] ، وفيه تشخيص لصفة اللؤم التي تصبح متأصلة في صاحبها، أما المثل الأول يضرب للشخص الذي يتنعم بالخيرات والملذات، وفي الأخير يكفر بها ولا يشكر صاحبها، وينطبق في الرواية على العم الأكبر الذي قال لأخيه الحاج عبد الله في وليمة العقيقة التي كانت وليمة كاملة مكملة، إذ أقيم فيها الكسكس الممرق، واللحم المربوط بالسعفة الخضراء بالإضافة إلى الملفوف؛ (وهي قطع الكبد الملفوف بالشحم، المصهدة تحت لهيب النار، لفترة وجيزة، الموضوعة في سفود حديدي له مقبض خشبي، منظومة فيه كالخرزات في خيط السبحة)[3]، ولما أكل وشَبِع العم الأكبر قال: «لقد قطع علينا هذا المولود طريقنا لتلك...يا أخي»[4]، أي قطع عليهم إرثهم ورزقهم المتمثل في السبخة الكبيرة والقواريط من المياه.

3- البنت كالرقبة إما موكولة إما مدمومة[5]:

البنت في المجتمع التواتي قديما، حرمت من التعليم ومن الميراث إذ يقرح بميلادها لأنها طوبة لا يستمر النسل بها، وهذا لعمري شبيها بما كان سائدا في عهد الجاهلية، زمن اللات والعزة ومناه الثالثة الأخرى ، ويتوافق في النص الروائي على" مريمو" أخت "لمرابط " التي حرمت من كل شيء .

---

[1] الرواية،ص52

[2] معالم نحوية وأسلوبية في الأمثال الشعبية الجزائرية،ص13

[3] الرواية، ص51

[4] الرواية،ص51

[5] الرواية، 73

4-(إيلا حسن جارك بَلْ ألحيتكْ يا لمرابط)[1]:

وللمثل رواية أخرى (إلى حسن جارك بل) [2] ، يقصد عوامنا بلفظ «إيلا» (إذا)، وبقية ما في المثل صحيح .ويضرب هذا المثل للشخص الذي إذا جاء طارئ لجاره أو بلدته، فلا بد أن تكون على أهبة الاستعداد، ويطابق المثل في الرواية "أمر بوحمرون "الذي عم البلاد وأصاب بعض الفتية، فاليوم عند غيرك أو جارك يا لمرابط، وغدا سوف يأتي دورك فكن مستعدا له. فكل ما هو آت آت ولا هروب منه .

5- (الماء إيلا نكسر في الجنان ما ضاع)[3]:

المثل الماثل هنا؛ كما نلاحظ ،فصيح عدا لفظة « إيلا» الذي أرجعناها إلى أصلها سالفا. وهو نابع من بيئة تواتية صميمة، لان الماء والجنان (البستان) هما مصدر حياة الإنسان التواتي، ومعناه ؛إذا "ساح الماء في البستان، بقصد أو غير قصد، ففي كل الأحوال، هو مفيد، وغير ضائع"[4]، ويصادف هذا المثل قانون الثورة الزراعية الذي أحدث خللا في أرجاء القصر الطيني، والذي مس أعز ما يملك أهالي القصور، من سباخ وفقاقير، والذي حبس على الذكور دون الإناث، والذي حثهم على تطبيق المرسوم القاضي بالتبرع بجزء من أملاكهم، وبِحيل منهم وبديهة، تبرعوا لأبنائهم وإخوانهم وزوجاتهم،أي أنهم حبسوا أملاكهم في أيديهم ولم ينقصوا فلسا منها.

---

[1] الرواية،ص75

[2] اللهجة التواتية الجزائرية،ج2،ص434

[3] الرواية،ص153

[4] ينظر إلى اللهجة التواتية الجزائريةج2

6-(أتكركيب لكدا ،ولا شفاية لعدا)[1]:

معناه في اللهجة التواتية،الزلط والتشومير(الفقر والحاجة) خير من أن أكون لقمة صائغة في يد أعدائي، يفعلون بي ما يشاؤن، ويصاغ المثل بعبارة أخرى(ما بيا موت حماري بيا شفاية)أو(ما بيا موت حماري شفايت العديان[2]ويضرب في اجتناب كلام الناس والخوف من التعرض لأقوالهم؛ وصاحب القول في الرواية، هو ابن العم الغيواني الزهواني؛ الذي أفلس نتيجة مغامراته(أغواه الطبل والزمار)، إذ باع سباخه و قواريطه من ماء الفقاقير، ولم يجد من حيلة تنقذه من أفواه الأعداء ونكايتهم إلا الهروب خارج القصر الطيني إلى الأراضي التونسية.

6-(ربيتك يا أجريتي أو تاكلني)[3] :

ويقال أيضا (ربيتك يا جريم تاكلني)[4] ويضرب المثل لناكر المعروف، كما له صيغة أخرى، أوردها عبد المجيد قدي في مصنفه « مكافأة العرجون حرقه»[5] ولغة المثل صحيحة سليمة وفصيحة؛ إلا أنها فيها تسهيل(مكافاة) (مكافأة) يطلق هذا المثل على من يقابل الإحسان بالإساءة، وهو شبيه بقول القائل: «أريد حياتي ويريد قتلي.»، ولهذا المثل الشعبي رواية أخرى «ربيتك يا جرو تاكلني.»[6] ويقول الشاعر:

أكلت شويهتي وربيت فينا فمن أدرك أن أباك ذيب

---

[1] الرواية،ص164

[2]ينظر إلى اللهجة التواتية الجزائرية،ج2،ص484

[3] الرواية، ص177

[4]اللهجة التواتية الجزائرية،ج2، ص449

[5]صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة، ص237

[6]اللهجة التواتية الجزائرية،ج2،ص449

وفي الرواية جرى المثل الشعبي على لسان والد "لمرابط" لما علم بنجاح" الداعلي" في امتحان الباكالوريا، فالداعلي وعائلته انفصلت عن عائلة "لمرابط" بسبب قانون الثورة الزراعية، وبعد امتلاك الخماس "والد الداعلي" لقطعة من الأراضي بعد ما كانت حكرا على الأسياد دون الآخرين.

7- (اللي ما جابو المكتوب، أيجيبوه لكتوب)[1]:

والمثل معناه؛ أن الذي لا يأتي به القدر، يمكن أن يأتي بالتعويذات والسحر على حسب زعمهم، وينطبق في الرواية على مجنون ليلى، أي لمرابط واميزار وأبجدية العشق والإيهام بينهما، فلما أعيت الحيل" لمرابط" في شد انتباه "اميزار" فشكي أمره لعمته نفوسة، طبيبة القلوب في إيجاد الحلول ، فأوصته العمة بجداول الطالب"أيقش" وتعويذاته، فاميزار« هي عشقه الأول، وجنونه الأبدي، وسر حكايته، وطلسم نهايته »[2]كما قال، ولابد من وسيلة توصله إلى قلب اميزار، حتى ولو كانت الوسيلة محظورة، فالغاية تبرر الوسيلة، كما قال أحد الفلاسفة.

8-(أدقيقنا في أرقعتنا يا الغيواني)[3]:

أو "دقيقنا في رقعتنا"[4] من غير الألف والهمزة، يقول الروائي عن المثل موضحا:(القافات الثلاثة في المثل تنطق جيما قاهرية، ومعنى الرقعة هنا، هي جلد الغنم المدبوغ، الذي تتوسطه الرحى لطحن القمح، فينزل* فيها الدقيق المطحون من جوانب الرحى في الرقعة، والرحى تكون فيها ضلفتين، واحدة سفلية، والأخرى علوية، فيها ثقبان، الأول جانبي لوضع المقبض المدعو محليا بالشضاض، والثاني يتوسط الضلفة العلوة، حيث يوضع منه القمح أثناء

[1] الرواية، ص192

[2] الرواية، ص209

[3] الرواية، ص 209

[4] اللهجة التواتية الجزائرية،ج2،ص446

الطحين.)[1]،أي لا داعي لإشراك الغرباء في العائلة، ويضرب خاصة لزواج الأقارب، كما يضرب في الأمور الخاصة التي تبقى بين أصحابها، أي ضرورة التكتم على الأسرار.

ويورد "حاج صالح "صيغة أخرى للمثل(خذ الطريق الصحيحة ولو دارت وخذ بنت العم ولو بارت)[2] ويقصد به «الزواج من الأقرباء هو شيء عادي عند العرب ولذلك يحذر المثل من التخلي عن هذه العادة المحمودة، من ناحية، لأن العانس في البيت مصيبة للوالدين وتزويجها من قريب هو شيء ممكن وسهل تحقيقه، أما من ناحية أخرى فان الزواج من امرأة أجنبية عن العائلة أو الحي قد يكون فيه ما لا يحمد عقباه.»[3]

ويتوافق المثل في النص، مبادرة والد لمرابط لطلب يد "اميزار" من والديها "الغيواني" و"منوبية"؛ فالدقيق هاهنا هو لمرابط ، أما الرقعة فهي اميزار، أي زواج ابن العم من ابنة عمه، وعدم إدخال الأجانب في العائلة من جهة ،ومن جهة أخرى المحافظة على السباخ والأملاك حتى لا يفوز بها الغريب.

خاتمة:

بعد التطواف في عالم الأمثال الشعبية المتناثرة في المملكة الزيوانية حق لنا الوقوف على النتائج التالية:

- أن المثل الشعبي هو مرآة عاكسة لما يحدث في المجتمع التواتي، به نتعرف عن الحياة الاجتماعية والثقافية له، فمن خلال التنقيب في المدونات العربية يلحظ أن الدارس العاجل للمثل العربي وبالأخص الشعبي قد استحوذ على مساحة كبيرة من اهتمام الناس وخاصتهم

[1] الرواية، ص 209

* أخال أن الروائي يقصد فينزل بدل فيزل

[2] الأمثال الشعبية الجزائرية،، ص153

[3] ينظر المرجع نفسه،ص153

،ديدنهم في ذلك أنه يلخص ويوجز الأحداث، فالمثل هو مستودع الإيجاز، إذ له القدرة على التشخيص، إذ يكسب الكلام سحرا وجمالا وروعة ورونقا وإبداعا فهو أقوى دلالة من صنوه الشعر ،فهذا الأخير خاصة بفئة معينة تقرضه، أما المثل الشعبي فلغته متداولة بين مختلف الطبقات. وهذا السر في تداوله بين الناس، إذ يعرف معناه الخاص والعام .

- للمثل الشعبي أيضا دورا كبيرا في صناعة القيم، إذ به يمكننا أن نوجه أو ننصحه شخصا دون التلفظ باسمه.
- نص" الحاج أحمد الصديق" هو عبارة عن فسيفساء تقاطعت فيه جملة من الموروثات الشعبية من أغاني شعبية وأساطير وأمثال شعبية تواترت جميعها على ألسنة الشخصيات ،وكلها تعكس البيئة التي كان يعيش فيه الروائي من جهة، ولتسهم في إثراء النص لغويا من ناحية أخرى.
- مدونة (مملكة الزيوان) تتقاطع مع جملة النصوص لتبرز لنا مدى شساعة ثقافة الكاتب، وتشبعه بالثقافة الشعبية التي رضعها من بيئته التواتية، وترسخت أمثالها في ذهنه، وهذا ما يعرف في الدراسات الحديثة بالتناص أو محاورة النصوص لبعضها البعض؛ فالأمثال الشعبية التي استند إليها في نصه قد تستوقف القارئ لأول وهلة لأنها كتبت بخط بارز
- لعل السبب في استعانة الروائي بهذا الكم من الأمثال لكونها مستودعا للإيجاز في كثير من العبارات والأحاديث المطولة.

مسرد المصادر والمراجع:

القران الكريم برواية ورش.

1) – الآداب واللغات، مجلة علمية متخصصة في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية تصدر سنويا عن كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، العدد الثاني، جوان2007.

2) الأمثال الشعبية العمانية واستثمارها في اللغة العربية، إبراهيم البلوشي، فاطمة الحوسينية، وزارة التراث والثقافة.

3) التجوال في كتب الأمثال، خضر موسى محمد حمود، دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون، بيروت–لبنان، ط 1 1422–2011

4) توظيف التراث الشعبي في المسرح الحلقوي في الجزائر ،مسرحية القراب والصالحين لولد عبد الرحمان كاكي– أنموذجا–العلجة هذلي (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستر، إشراف العمري بوطابع، جامعة المسيلة،2009.

5) صفحات مشرقة من تاريخ أولف العريقة، دراسة تاريخية–ثقافية واجتماعية.

6) معجم لسان العرب، ابن فارس، دار صادر بيروت

7) اللهجة التواتية الجزائرية، معجمها، بلاغتها، أمثالها وحكمها عيون أشعارها، احمد أبا الصافي جعفري، دار الكتاب العربي، ط2003،1،ج2.

8) محاضرات في الأدب الشعبي الجزائري (قصص، حكايات–أحاجي–أمثال– نوادر شعبية)،محمد عيلان، دار العلوم للنشر والتوزيع،ج1، 2013.

9) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القار الرازي، مكتبة لبنان،1986

10) منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، التلي بن الشيخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1990.

11) معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار عمر، ط1، 1429–2008،عالم الكتب،ج2،pdf

12) العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تح: محمد قميحة، مكتبة المعارف، الرياض، دار الكتب العلمية.

13) في الأمثال الشعبية الجزائرية، محمد عيلان، دار العلوم للنشر والتوزيع2013 .